

## المحاضرة السادسة: القضاء في العهد النبوي

### أولاً: أنواع القضاء في العهد النبوي

يمتد العهد النبوي الشريف من زمن البعثة إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم، لكن المراد من العهد النبوي في القضاء ينحصر في العهد المدني فقط ابتداء من الهجرة وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة هو القاضي الأول والأمثل امتثالاً للتكليف الإلهي، قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء/65). وقال أيضاً: (فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (المائدة/48).

وقد مارس رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمة القضاء بنفسه، وفصل في المنازعات والخلافات بين فئات المجتمع المدني، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين من الأقليات الأخرى، وقد حكم في مختلف الدعاوى في الدماء والأموال وأحكام الأسرة والموارث.. وغيرها.

- ومن أمثلة الأحكام القضائية النبوية التي ورد فيها نص قرآني: الحكم على الصحابي معز بن مالك رضي الله عنه بالجلد مائة وتعريب سنة (وكان محصناً)، وكذا نفس العقوبة على المرأة الغامدية. والحكم بقطع يد سارق رداء صفوان بن أمية<sup>1</sup>، وكذا يد المرأة المخزومية التي سرقت.

- ومن أمثلة القضاء النبوي الذي هو مبني على الاجتهاد لانعدام النص فكثير منها: الحكم على فاطمة بنت قيس بعدم السكنى والنفقة وكان زوجها قد طلقها طلاقاً لا رجعة فيه. وكذا الحكم بدفع الدية في القتل شبه العمد (مائة من الإبل أربعون في بطونها أولادها). والحكم بانعدام القصاص في حالة قتل الوالد لولده.

1 كان ثمن الرداء ثلاثون درهماً، ولما ألقى عليه القبض وأخذوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقطع يده فقال صفوان أنقطعه من أجل ثلاثين درهماً؟ أسامحه وأدفع عنه الثلاثين درهماً. فقال رسول الله: "هل كان قبل أن تأتي به".

## ثانيا: مصادر القضاء في العهد النبوي

1. القرآن الكريم: وهو الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك الذي نزل قبل وقوع الحادثة أو المسألة أو ما نزل بعدها للبيان والإرشاد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عرضت عليه قضية حكم فيها بما عنده من كتاب الله فإن لم يكن فإنه ينتظر الوحي، ومتى نزل حكم به وبلغ الأطراف بحكم الله تعالى.

ومن ذلك ما وقع لبنتيّ سعد بن الربيع لما استشهد بأحد وجاء عمهما ليأخذ ماله ويرثه ويمنعهما فشكت أمهما ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره بالانتظار حتى نزلت آيات الموارث فحكم في القضية<sup>1</sup>.

2. السنة النبوية: وهي أيضا وحي، لقوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم/ 3-4). وهي إما مما يرشده إليه جبريل عليه السلام أو مما يلهمه الله تعالى مباشرة. وقد جمعت أقوال وأفعال وتقريرات النبي عليه الصلاة والسلام في كتب السنة.

3. الاجتهاد: وذلك بإعمال العقل في القياس على ما ورد في الكتاب والسنة، وتسوية الأحكام على المسائل المتشابهة والحالات المتناظرة والقضايا المتماثلة، جاء في حديث أم سلمة: «إِنِّي إِتَمَّا أَقْضِي بَيْنَكُمْ بِرَأْيِي فِيمَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهِ»<sup>2</sup>.

## ثالثا: قضاء المظالم وقضاء الحسبة في العهد النبوي

لقد وجدت النواة الأولى لقضاء المظالم وقضاء الحسبة في العهد النبوي ولكن كل منهما لم يكن مستقلا عن القضاء العادي ولم تظهر أجهزته ونظامه إلا في العهود اللاحقة.

فبالنسبة لقضاء المظالم: فمن تطبيقاته الأولى أنه لما عين النبي صلى الله عليه وسلم راشد بن عبد الله قاضيا للمظالم قال: «من أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ومن جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليقتص منه»<sup>3</sup>.

أما بالنسبة لقضاء الحسبة: فقد طبقه رسول الله بن نفسه، فكان يتفقد أحوال الناس ويطوف بالأسواق ويراقب الأسعار ويمنع الغش.

1 قال: أعط بنتا سعد الثلثين، والأم الثمن، وما بقي لك.

2 رواه أبو داود.

3 رواه أحمد والدارمي ومعناه في صحيح مسلم.

وقد ذكر ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل سعيد بن سعيد بن العاص على سوق مكة بعد فتحها.

### رابعا: تعيين القضاة في العهد النبوي

بالإضافة إلى تولي النبي صلى الله عليه وسلم القضاء بنفسه في المدينة فإنه عين عددا من الصحابة قضاة، وبعث عددا منهم إلى الأقاليم، وأناط بالولاية عمل القضاة، وهذه نماذج من ذلك:

1. تعيين قاض على منطقة أو مدينة معينة: كما أرسل علي بن أبي طالب إلى اليمن قاضيا، ومعقل بن يسار إلى اليمن أيضا.

### 2. تعيين الولاية وتكليفهم بالقضاء: من ذلك

- تعيين معاذ بن جبل رضي الله عنه على الجند (بلدة في اليمن) وتكليفه بتعليم الناس القرآن والدين، وقبض الصدقات من العمال الذين باليمن، والقضاء بين الناس<sup>1</sup>.

- تعيين أبا موسى الأشعري على بعض اليمن.

- تعيين العلاء بن الحضرمي واليا على البحرين وقاضيا فيها.

- تعيين عثمان بن أبي العاص واليا على الطائف.

### 3. تعيين قاض للفصل في قضية واحدة: من ذلك ما وقع لعمر بن العاص رضي الله

عنه لما جاء رجلين يختصمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن العاص: «أقضي بينهما» فقال: «أقضي بينهما وأنت حاضر يا رسول الله؟» قال: «نعم على أنك إن أصبت فلك عشرين أجور وإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جاء في الحديث الشهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مَعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ كَيْفَ تَقْضِي فَقَالَ أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَجْتَهُدُ رَأْيِي لَا أَلُو. قَالَ فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرِي ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه أبو داود والترمذي وأحمد والدارمي.

<sup>2</sup> رواه الحاكم في المستدرک.

## خامسا: أهمية القضاء النبوي

يحتل القضاء النبوي أهمية خاصة في تاريخ القضاء الإسلامي وذلك:

1. أنه يمثل الأسس والقواعد والأركان والآداب لتنظيم القضاء في الدولة الإسلامية.
2. أنه تطبيق عمليّ ودقيق - ومصدق - للآيات والأحاديث القولية التي أمرت بالعدل ورغبت فيه وحذرت من الظلم والعدوان.
3. تعتبر الأفضية النبوية جزء من السنة النبوية الشريفة التي تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي إلى قيام الساعة.
4. يعدّ القضاء النبوي صورة مشرقة وضاءة للقضاء في العالم من خلال الحياد والتجرد والتزام العدل والحق ولو على النفس أو الولد أو القريب أو البعيد أو المسلم أو الكافر..
5. عرف القضاء النبوي مبدأ مراقبة الأحكام (قضاء المظالم) وكانت سلطة المراقبة والإشراف للوحي الإلهي أولا، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا.
6. شهد العهد النبوي النواة الأولى لأنواع القضاء (المظالم والحسبة)، إلا أنه لم يكن هناك فاصل بينها وبين القضاء العادي.